مدرسة الإسكندرية

طقس البصخة المقدسة في الكنيسة القبطية

سماته وتطوره عبر العصور

رفيق عادل

إن لم تؤمنوا فلن تفهموا

العدد السادس - ٢٠١٠

مجلة مدرسة الإسكندرية

عدد ٦

طقس البصخة المقدسة في الكنيسة القبطية

سماته الأصلية وتطوره عبر العصور

إعداد المهندس: رفيق عادل

طقس البَصخة المقدَّسة في الكنيسة القبطيَّة

سماته الأصلية وتطوره عبر العصور

إعداد: المهندس رفيق عادل
Rafik_Adel@alexandriaschool.org

مقدمة:

بدأت فكرة هذه الدراسة كمحاولة للإجابة عن بعض التساؤلات التي تحتاج إلى بحث منهجي منظم عن الليتورجية المُقارَنة، أهمها: ما هى السمات الأصلية لطقس أسبوع الآلام المحيية في الكنيسة القبطية؟ ثم ما هى التغيرات التي تعَّرض لها هذا الطقس نتيجة تفاعله مع طقوس الكنائس الشرقية الأخرى، مثل: كنيسة أورشليم، والكنيسة السريانية، وأحيانًا الطقس البيزنطي (القسطنطيني)؟.

وللإجابة عن هذه التساؤلات يجب دراسة الكثير من المخطوطات والنصوص الليتورجية القديمة الخاصة بطقس البصخة القبطي ـ والتي لم تُنشَر حتى الآن ـ سواء أكانت مُدوَّنة باللغة القبطية، بلهجتيها الصعيدية والبحيرية، أم باللغة اليونانية[1]، مع مراعاة الدراسات والأبحاث (غير الكافية) عن أسبوع الآلام في الطقوس الشرقية الأخرى.

ونظرًا لأن طقس كنيسة أورشليم هو نواة كل تطور طقسي سابق، لذلك فإن دراسة الوثائق التاريخية المتعلقة بطقس هذه الكنيسة يعتبر ذا درجة كبيرة من الأهمية. وأبرز هذه المصادر هي مذكرات السائحة إيجيريا[2]،

[1] تحتفظ مكتبات العالم وبالأخص المكتبة الوطنية بفيينا ببعض من هذه المخطوطات الليتورجية الهامة والتى لم تنشر حتى الآن، مكتوبة باللغة اليونانية والقبطية والعربية وكان مصدرها أديرة برية شيهيت، ومن ضمن هذه المخطوطات على سبيل المثال لا الحصر: مخطوط بصخة تحت رقم K II 346 بالمكتبة الوطنية بفيينا ومخطوط OR.243 بمكتبة الجامعة بليدن.

[2] انظر: أيجيريا، يوميات رحلة، تعريب نعمة الله الحلو، بيروت: منشورات مجلس كنائس الشرق الأوسط، أقدم النصوص المسيحية : سلسلة النصوص الليتورجية رقم ٥، الطبعة الأولى ١٩٩٤، وأيضًا: أقدم مخطوطة تحتوي على

والقطمارس الأرمني الأورشليمي من القرن الخامس الميلادي[٣]، والقطمارس الجيورجي الذي نشره بدقة كل من ب. تارشينشايفللي P. Tarchnischvili وم. ج. جاريت M.G. Garitte[٤]. ومن خلال هذه المصادر، يمكننا القول إنه أصبح لدينا أهم المعلومات عن الطقس الأورشليمي لأسبوع الآلام منذ نهاية القرن الرابع وحتى القرن الثامن.

المخطوطات المستخدمة في هذه الدراسة:

١) **مخطوط** OR.243 المحفوظ بمكتبة الجامعة بليدن Leiden (هولندا)، "قطمارس بصخة" مدون باللغتين اليونانية والعربية، يحتوي على فصول من الأناجيل والأعمال والرسائل والمزامير الخاصة بقراءات أسبوع البَصخة المقدَّسة، والأسبوع التالي لعيد الفصح. ومن المرجَّح جدًّا أن يكون قد كُتِبَ في إحدى أديرة برية شيهيت (وعلى الأخص دير أنبا مقار) سنة ٩٨١ ش/١٢٦٥م، وناسخ المخطوط يُدْعَى رحمة الله القس رشيد المصري، وسنرمز له في بحثنا هذا بمخطوط (أ).

٢) **مخطوط** Add.5997 المحفوظ بالمتحف البريطاني، قطمارس للبصخة المقدسة باللهجة البحيرية يرجع تاريخه إلى ٩٩٠ش / ١٢٧٣م، وقد نشره العالم بورمستر O. H. E. Burmester بمجموعة Patrologia Orientalis في الجزأين الـ٢٤ ، ٢٥ سنتي ١٩٣٣ ، ١٩٣٩م. ويحتوى على نص كامل لكل فصول خدمات السواعي لأسبوع الآلام[٥]، وسنرمز له في بحثنا

طقس أسبوع البصخة، سلسلة دراسات في البصخة المقدسة –١، ترجمة ودراسة الشماس فيكتور بشير، الطبعة الأولى ٢٠٠٠م.

[3] *The Armenian Jerusalem Lectionary, Patrologia Orientalis* XXXV/1, XXXVI/2, (1969-1971).

[4] M. Tarchnischvili : *Le Grand Lectionnaire de l'Eglise de Jérusalem* (Ve-VIIIe siècle), C.S.C.O. 189, Louvain 1959.

[٥] لقد فحص العالم بورمستر ٢٠ مخطوط قطمارس بصخة قبطي وسجل بوضوح التشابهات والاختلافات للاقتباسات الكتابية في جدول له فهرس أبجدي، انظر:

Le Lectionnaire De La Semaine Sainte, Patrologia Orientalis XXIV/2 (1933), pp. 179-294, and XXV/2 (1939), pp. 179-485.

هذا بمخطوط (ب).

٣) **مخطوط** OR.425 محفوظ بالمكتبة البريطانية، وهو دلاَّل سنوي يحتوي على الأربعة أناجيل المقدسة قبطي عربي وجدول بكل ما يُقْرَأ طوال السنة فى الأيام والأعياد والسبوت والآحاد والصوم المقدس والخمسين وجمعة ألآم السيد المسيح، ويرجع تاريخه إلى ١٠٢٤ش/ ١٣٠٨م، ونسخه أبو سعيد بن سيد الدار بن أبي فضل المسيحي (ت ١٣٢٢م)، وهو منقول عن مخطوط أقدم منه يرجع تاريخه إلى ٩٦٠ش/١٢٤٤م كان وقْفًا على كنيسة المعلقة بمصر القديمة، وسنرمز له في بحثنا هذا بمخطوط (ج).

٤) **مخطوطات كتاب "مصباح الظُّلمة وإيضاح الخدمة"** للقس شمس الرئاسة أبو البركات ابن كبر (+١٣٢٤م)، وتحديدًا الباب الثامن عشر وقد تم تحقيقه ونشره سنة ٢٠٠١م بواسطة الأخ وديع الفرنسيسكاني، وذلك ضمن دورية (أو مجموعة Collectanea) برقم (٣٤)، وهي دوريَّات تصدُر عن المركز الفرنسيسكاني للدِّراسات الشَّرقيَّة المسيحيَّة[٦].

٥) **مخطوطات "دلال ترتيب جمعة الآلام المحيية"**

وهي عديدة ومنتشرة في أغلب المكتبات العالمية وأيضًا في الأديرة والكنائس القديمة[٧]، وسنذكر بعضها على سبيل المثال لا الحصر:

١- مخطوط قبطي عربي، رقم (٣١ طقس)، بمكتبة المتحف القبطي بمصر القديمة.

---

[6] A. Wadi, *Abū al-Barakāt Ibn Kabar, Miṣbāh al-Żulmah* (cap. 18: il digiuno e la settimana santa), *Studia Orientalia Christiana* (Offprint from *SOC-Collectanea* 34, 2001), Cairo-Jerusalem 2001, p. 233- 322.

[٧] ولعل سبب كثرة هذه النوعية من المخطوطات هو عدم استخدام قطمارسات كاملة لقراءات وطقوس أسبوع الآلام – كما هو الحادث الآن – فى الكنائس، حيث كان يستخدم قديمًا دلال سنوي يحتوى على قراءات السنة كاملة ومن ضمنها قراءات أسبوع الآلام ويستخدم "دلال ترتيب جمعة الآلام المحيية" ليشير للطقوس والاستخدامات الخاصة بهذا الأسبوع فقط دون أن يحتوي على قراءات من الكتاب المقدس. ولعل هذا كان ينطبق على كنائس المدن فقط بينما الأديرة كانت تستخدم قطمارسات كاملة تجمع فيها ما بين قراءات الكتاب المقدس وطقوس وألحان أسبوع الآلام.

٢- مخطوط قبطي عربي، رقم (٥١ طقس)، بمكتبة المتحف القبطي بمصر القديمة

٣- مخطوط قبطي عربي، رقم (١٨٤ طقس)، بمكتبة المتحف القبطي بمصر القديمة.

٤- مخطوط قبطي عربي، رقم (٣٣٦ طقس)، بمكتبة المتحف القبطي بمصر القديمة.

٥- مخطوط قبطي عربي، رقم (٩ طقس)، بدير مارجرجس بحارة زويلة.

٦- مخطوط قبطي عربي، (بدون رقم)، بكنيسة أبوسيفين مرقوريوس بالشرقية.

٧- مخطوط قبطي عربي، رقم (٣٢ قبطي)، بالمكتبة الأهلّية بباريس.

٨- مخطوط قبطي عربي، رقم (٣٦ قبطي)، بالمكتبة الأهلّية بباريس.

٩- مخطوط قبطي عربي، رقم (٨٧٧٠ شرقيات)، بالمكتبة البريطانّية بلندن.

مبدأ هام لدراسة الليتورجية بشكل عام وليتورجية طقس البَصخة المقدَّسة بوجه خاص:

إن مقارنة الليتورجيات هو علم له ضوابط وقواعد لا يمكن إهمالها، أهمها ارتباط كل طقس بزمان ومكان محددين، وبالتالي لا يجوز تعميم ذلك الطقس لنجعل منه طقسًا عامًا يشمل منطقة أوسع من تلك التي كان يُمَارَس فيها أو زمنًا أطول من الذي كان يُطَبَّق فيه[٨]. وهكذا لا يمكن تعميم طقس كان مستخدمًا في مكان بذاته وفي زمن محدد لنجعل منه طقسًا عامًا كان مستخدَمًا في كل زمان ومكان، بل إن كل مخطوط طقسي لا يعبر إلا عن

[8] Emmanuel Lanne, O.S.B., TEXTES ET RITES DE LA LITURGIE PASCALE DANS L'ANCIENNE ÉGLISE COPTE Communication présentée au VIIe Congrès d'études liturgiques de l'institut Saint – Serge.

طقس كنيسة محددة في زمن محدد، وهو تاريخ نساخة هذا المخطوط؛ فالمخطوط الطقسي يختلف عن أي مخطوط آخر أدبي أو تاريخي؛ وذلك لأن المخطوط الطقسي يُنْسَخ للاستخدام العملي، وبالتالي فعلى الناسخ مراعاة الطقس المتبع في زمن نساخة المخطوط والمستخدم في الكنيسة أو المنطقة التي سيُسْتَخْدَم فيها المخطوط الجديد. وهكذا فالناسخ للمخطوط الطقسي لا ينقل عن المخطوط الأقدم وهو معصوب العينين، إن جاز التعبير، بل يضيف ويحذف منه بما يتوافق مع الطقس المتبع في زمانه وفي الكنيسة التي ينسخ لها المخطوط الطقسي الجديد.

من هذا المنطلق يجب نشر كل مخطوط من مخطوطات طقس البَصخة المقدَّسة على حده كما هو؛ لأن كل مخطوط يمثل مرحلة من مراحل التطور الطقسي لمرحلة زمنية محددة وتقليد محلي معين.

كذلك لا يمكن أن نغفل أنه كانت هناك فروق كبيرة بين الطقس الخاص بالأديرة والطقس الخاص بكنائس المدن. وليس هذا فحسب، بل كان هناك اختلافٌ وتباينٌ بين الممارسات الطقسية في كنيسة وأخرى فى نفس المدينة، وذلك قبل أن يندمج طقس الأديرة وطقس المدن معًا في طقس واحد هو خليط منهما، تمارسه الأديرة كما تمارسها كنائس المدن أيضًا.

وهكذا يمكن القول إنه لم يكن لكل كنائس مصر نفس الترتيب في الصلوات، فمثلاً لا يجب التعميم أو الخلط بين بصخة كلٍّ من الكنيسة المعلقة وحارة الروم وحارة زويلة وكنيسة الأنبا شنودة بدرب البحر على أنها بصخة أهل مصر التى ذكرها القس شمس الرئاسة أبو البركات بن كبر[٩]، كاهن الكنيسة المعلقة (ت ١٣٢٤م)، فلكل منطقة تقليدها المحلي الذي يختلف عن الآخر اختلافًا بالغًا في الاستخدامات التي تباينت أشكالها بحسب

[9] A. Wadi, *op. cit.*, pp. 259-278.

الأماكن المختلفة[١٠]. كذلك اقتصر ابن كبر على ذكر التقاليد المحلية (الطقسية) التي يعرفها أو يمارسها[١١]، لكنه كثيرًا ما يذكر أن أهل الصعيد قد حفظوا عدَّة عادات مختلفة تمامًا. ومما لا شك فيه أن كنائس صعيد مصر لم تسلِّمنا جميع أسرارها، والتي ينبغي أن نبحث فيها عن العناصر القديمة جدًّا ذات السمات القبطية الخالصة التي يصطبغ بها أسبوع البَصخة.

مدخل للدراسة:

حينما نبدأ بدراسة ليتورجية طقس البَصخة المقدَّسة، لابد أن نبدأ بدراسة واحدة من الوثائق الهامة التي تعكس لنا التباين في ليتورجية طقس البَصخة المقدَّسة بين تقليد محلي وآخر، ألا وهي المخطوط (أ)، وقد أثار هذا المخطوط الهام انتباه علماء الليتورجيا، فقد نشر العالِم بومشتارك Anton Baumstark مقالتين موثَّقتَين في مجلة "O.C. Oriens Christianus" في عامي ١٩١٣، ١٩١٥م، موضِّحاً أن الكتاب يشكِّل أهمية كبرى في دراسة تاريخ الطقس القبطي[١٢].

كذلك أشار الأب عمانوئيل لان إلى نفس المخطوط فى مقال له بعنوان

---

[١٠] فنجد على سبيل المثال لا الحصر: أن مخطوط ترتيب جُمعة الآلام المحيية رقم (٣٢ قبطي) بالمكتبة الأهلية بباريس، وهو مخطوط قبطي عربي يحتوي على شرح ترتيب جُمعة البصخة المقدَّسة حسب طقس كنيسة السيِّدة العذراء بحارة الرُّوم بمصر القديمة في القرن الخامس عشر الميلادي يختلف فى كثير من الممارسات الطقسية عن باقي مخطوطات ترتيب جمعة الآلام المحيية الأخرى لأنه يمثل قيمة مكانية وزمنية مؤقتة لبصخة حارة الرُّوم في القرن الخامس عشر.

وأيضًا نجد أن بعض الكنائس كانت تصلى لحن ⲑⲱⲕ ⲧⲉ ⲛ̀ⲧⲙ̀ⲛ̀ⲭⲟⲓⲥ "لك القوة والمجد والعزة....." قبل قراءة النبوات قبطيًّا وعربيًّا وهو ما قد ذكره بن سباع (القرن الثالث عشر) فى موسوعته "الجوهرة النفيسة في علوم الكنيسة" وبعض مخطوطات "ترتيب جمعة الآلام المحيية" وهو ما يختلف عن عادة كنيسة المعلقة حيث كانوا يقولون النبوات قبطيًّا ويفسرونها عربيًّا ثم يقولون لحن ⲑⲱⲕ ⲧⲉ ⲛ̀ⲧⲙ̀ⲛ̀ⲭⲟⲓⲥ "لك القوة والمجد والعزة....." وهو ما يتم ممارسته حتى الآن.

[١١] مجلة مدرسة الإسكندرية، طقس أسبوع البصخة المقدسة (١)، إعداد مركز الأبحاث بالمجلة، كنيسة مارجرجس أسبورتنج، العدد الأول – السنة الثانية، يناير – أبريل ٢٠١٠، ص ٢٠٦.

[12] A. Baumstark, *Ein griechisch-arabisches Perikopenbuch des koptischen Ritus, Oriens Christianus,* N. S. 3 (1913),pp. 142-144; *Das Leydener griechisch-arabische Perikopenbuch für die Kar-und Osterwoche, Oriens Chritianus*, N. S. 4 (1915), PP. 39-53.

"نصوص وطقوس البَصخة (الفصح) في الكنيسة القبطية الأُولى"[١٣] واقترح أن يكون هذا المخطوط قد كُتِبَ في دير أنبا مقار في عصر البابا بنيامين الثاني، أي في الربع الثاني من القرن الرابع عشر، وليس في عام ١٢٦٥م كما ذكرنا، واعتمد فى هذا التخمين على مخطوط ليتورجي آخر باللغة اليونانية محفوظ بمكتبة المتحف القبطي برقم ٢٠ يحتوى على أنافورا للقديس باسيليوس والقديس غريغوريوس كُتب فى نفس عصر البابا السابق ذِكْره وكان مصدره أيضًا دير أبو مقار. ولكن يبدو أن تأريخه لزمن نساخة المخطوط قد جانبه الصواب؛ لأن العالم هنك جان دي جونج Henk Jan De Jonge قد قدم دراسة هامة[١٤] عن هذا المخطوط، آخذًا فى الاعتبار النتائج والدراسات السابقة التى تمت على هذا المخطوط، موضحًا زمن كتابته، ومصدره، وناسخه، وذلك من خلال الخاتمة (Colophon) التي ذكرناها سابقًا.

وبمقارنة المخطوط (أ) مع غيره من القطمارسات القبطية الأخرى التى تم تحقيقها ونشرها[١٥] نجد أن الطقس الذي يقدمه هذا المخطوط للاحتفال بأسبوع الآلام المحيية مُناقِضًا للقليل الذي يذكره ابن كبر فى القرن الرابع

---

[١٣] وهذه المقالة نعتمد عليها بشكل أساسي فى الدراسة التى نقدمها عن البصخة المقدسة في الكنيسة القبطية وقد قام أحد رهبان دير أبو مقار بترجمتها ونقلها إلي اللغة العربية عن اللغة الفرنسية فله منا جزيل الشكر والامتنان.

[14] H. J. de Jonge, *Joseph Scaliger's Greek - Arabic Lectionary*, Quaerendo 5 (Amsterdam, 1975), pp. 143-172.

[١٥] من ضمن هذه القطمارسات قطمارس للبصخة المقدسة باللهجة البحيرية نشره العالم بورمستر والذي ذكرناه سابقًا ورمزنا له بالمخطوط (ب).

كما نظم أيضًا نفس العالم نصًّا "قبطي – يوناني – عربي" للبصخة المقدسة ونشره بمجلة جمعية الآثار القبطية، تاريخه يرجع إلى القرن الثالث أو الرابع عشر بواسطة تجميع عدد كبير من شذرات مشتتة بين مجموعات المخطوطات المنتشرة فى المكتبات الأوربية المختلفة من بينها لندن وأكسفورد مصدرها برية شيهيت، انظر:

The Coptic-Greek-Arabic Holy Week Lectionary of Scetis', *Bulletin de la Societe d'Archcologie Copte* 16 (1961-2), pp. 83-137 and 'The Bodleian Folio and Further Fragments of the Coptic-Greek-Arabic Holy Week Lectionary from Scetis', ibid., 17 (1963-4), pp. 35-48. Scetis is the ancient name for Wadi 'n Natrun.

وقد نشرت أيضًا العالمة Maria Carmer مخطوط ٩ قبطي محفوظ بالمكتبة الوطنية بفيينا وهو قطمارس قبطي للبصخة المقدسة مصدره دير البرموس ويرجع تاريخه إلى القرن الرابع عشر الميلادي، انظر:

'Studien zu koptischen Pascha-Büchern. Der Ritus der Karwoche in der koptische Kirche', *Oriens Christianus* 47 (1963), pp. 118-28; 49 (1965), pp. 90-115; 50 (1966), pp. 72-130.

عشر عن طقس الاحتفال بأسبوع الآلام في دير أنبا مقار[١٦] كما أنه يقدم لنا طقسًا مختلفًا عن الطقس الذي كان مستخدمًا في كنائس مصر الأخرى أثناء أسبوع الآلام المحيية، حيث لا يحتوي هذا المخطوط على قراءات من العهد القديم، باستثناء القراءات المقتبسة من سفر المزامير، بينما القطمارسات الأخرى تحتوي على قراءات من الأنبياء والكتب التاريخية وأسفار موسى الخمسة.

وعلى الرغم من ذلك فإن المخطوط (أ) يتوافق إلى حد كبير مع النظم الأخرى الكاملة للقطمارسات القبطية الأخري لأسبوع البَصخة المقدَّسة (مثل مخطوط Vat.Borg.copt.21) بالنسبة إلى فصول قراءات العهد الجديد، مع اختلافات طفيفة في طول القراءات، كما يتضمن أيضًا قراءات فصول يوم سبت لعازر.

ولعل هذا القطمارس يمثل الشكل الأقدم لنظام قراءت البصخة المقدسة الذي وضعه رهبان دير أنبا مقار لأهل المدن في زمن البابا غبريال الثاني (القرن الثانى عشر)، وهو يختلف عن الطقس الديري الذى كان يمارسه الرهبان وظل يستخدم في هذا الدير حتى القرن الرابع عشر ـ وهو ما أشرنا إليه سابقًا ـ ولا نعلم فى أي زمن بالتحديد أُبْطِل استخدام النظام الديري الأكثر قدمًا والذي يحمل السمات الأصلية للاحتفال بالبصخة المقدسة فى دير أنبا مقار، إذ أنه لم يكن لأسبوع البَصخة المقدَّسة شكل ليتورجي أو ترتيب طقسي مستقل حتى القرن الثاني عشر بالصورة المتعارف عليها الآن. ولعل ما قام به البابا غبريال بن تريك[١٧] (١١٣١ ـ ١١٤٦م) ليس إلا محاولة لتقنين بعض الاستخدامات لكي يثبِّت ويوحِّد الاحتفال بالطقس القبطي ليكون على نمط واحد. ولكي يقف ضد الاستخدامات المختلفة والتباين المفرط ما بين مجتمع

---

[16] A. Wadi, *op. cit.*, pp. 278-280.

[١٧] كثيرٌ من الذين كتبوا عن البصخة المقدسة أختلط الأمر عليهم بين البابا غبريال الثاني الشهير بابن تُريك البطريرك الـ ٧٠ (١١٣١–١١٤٦م) والبابا غبريال الثالث الشهير بابن فخر الكفاءة البطريرك الـ ٧٧ (١٢٦٨–١٢٧١م) ولعل هذا يرجع إلى مساهمة هذا الأخير فى بعض التعديلات على كتاب البصخة وهو الأمر الذى سوف نحاول أن ندرسه فى حلقة لاحقة من خلال دراسة بعض المخطوطات القبطية الهامة.

محلي (مكاني) وآخر اتخذ البطريرك زمام المبادرة، وحاول أن يفرض ما ارتأَاه أكثر مُلائمة ومطابقة للتقليد القبطي. ولا ينطبق هذا على طقس البَصخة فحسب، بل على الكثير من الكتب اللِّيتورجيَّة المستخدمة فى عبادتنا حتى اليوم، ومن بينها كتاب القداسات المقدسة المعروف باسم الخولاجى المقدس[١٨]. غير أن هذا الجهد الذي بذله البابا غبريال بن تريك في التقنين لا يبدو أنه قد جاء بالنتائج المنتظرة منه سريعًا. ويشهد القس ابن كبر نفسه، وفي عدَّة مواضع مختلفة من موسوعته الطقسية "مصباح الظلمة"، على التنوع الكبير في الاستخدامات اللِّيتورجيَّة لطقس البَصخة في عَصْرِهِ[١٩] (بداية القرن الرابع عشر)، أى بعد قرنين من محاولة تقنين الطقس القبطي على يد البابا غبريال الثانى، وخصوصًا طقس يوم أحد الشعانين (السعف) وطقس أيام البَصخة المقدَّسة.

السرد التاريخي لتطور طقس البَصخة المقدَّسة في الكنيسة القبطية:

كانت العادة القديمة في أسبوع الآلام المحيية أن يُقرأ الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد[٢٠]، إذ لم تكن قد حددت بعد قراءات ونبوات ثابتة لأسبوع البَصخة المقدَّسة، حيث ظهرت قراءات أسبوع البَصخة أولاً ضمن

---

[١٨] من المعروف أن البابا غبريال بن تُريك قنن الاستخدام الليتورجى للثلاثة أنافورات من القداس القبطي فصارت من ذلك الوقت هي الوحيدة المُستَخدَمة في كنيسة الإسكندرية ونجد ذلك فى القانون (٢٦) من قوانينه: "انتهى إلى ضعفي أن قومًا من أعمال الصَّعيد يقدِّسون قدَّاسات غير موافقة، خارجًا عن الثَّلاثة المعروفة، وهم قدَّاس القدِّيس باسيليوس، وقدَّاس القدِّيس غريغوريوس، وقدَّاس القدِّيس كيرلس وقد منعت من يعتمد ذلك إلى أن يحضر إلى القلاَّية ويحرِّر قدَّاساته"، راجع: الأب أنطونيوس عزيز مينا، مجموع قوانين غُبريال بن تُريك البطريرك السَّبعين، جزءان، مركز التُّراث العربي المسيحي، بيروت ١٩٩٣م.

[١٩] مجلة مدرسة الأسكندرية، طقس أسبوع البصخة المقدسة (١)، مرجع سابق، ص ٢٠٦.

[٢٠] حيث ذُكر هذا التقليد القديم في مخطوط ١٧٩ مسلسل/ ٣١٢ طقس بالمتحف القبطي بالقاهرة، الورقة ٤٢٦ ج – ٤٢٦ ظ، وهذه النسخة كانت وقفًا على كنيسة السيدة العذراء بحارة زويلة والذي يرجع تاريخه إلي سنة ١٦٢٦م، انظر:المرجع السابق، صـــ٢٠٤–٢٠٥، وذكره أيضًا القس بن كبر في الباب الثامن عشر من موسوعته الشهيرة "مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة" كطقس خاص بدير القديس مقاريوس ببرية شيهيت انظر:
A. Wadi, *op. cit.*, pp. 278-280.

قراءات قطمارس الصوم المقدس[٢١]، وكانت تحتوى على القراءات الخاصة بالعناصر اللّيتورجيَّة الأكثر قدمًا، أي قراءات قداس أحد الزيتونة (الشعانين)، وقداس الخميس الكبير، وقداس سبت الفرح، وأخيرًا قداس الفصح المُقدَّس. بيد أن قراءات ونبوات ثابتة لأيام الاثنين والثلاثاء والأربعاء بالشكل المتعارف عليه الآن لم تكن قد حُددت بعد، وخلال هذه الأيام الثلاثة لا يُحتَفَل بإقامة الإفخارستيا.

إلا أن أنبا مقاره أُسقُف منوف العليا (في القرن العاشر الميلادي)، في رسالته عن الليتورجية القديمة للمعمودية والميرون[٢٢]، قدم لنا شهادة مهمة لاستخدام واضح جدًّا بحفظ طقس الإفخارستيا في الأيام الثلاثة الأُولى من الأسبوع الكبير[٢٣]، فيقرر قائلاً: "إننا قد وجدنا مكتوباً أنه عندما سُئل البطريرك أنبا ميخائيل الكبير عن هذه العادة، أجاب وقال: إنه في أيام (زمن) الرسل كان يُؤمَر أن لا يكون الشعب بدون تقدمة" (أي بدون إفخارستيا)، ثم يضيف: "ونحن نأمر أن التقدمة التي توضع على المذبح لكي يتم تقديسها في يوم أحد الشعانين، يُقسَّم منها جزء كبير كجسد مقدَّس يُغمس في الدم الموضوع في الكأس الذي قُدِّس في ذلك اليوم، فيكون كجسد مرشوم بغمس الخبز في الخمر، ويبقى حتى يوم الثلاثاء لكي يتناول منه الشعب". ثم يضيف أنبا مقاره أسقف منوف العليا ويقول إنه بحسب رأيه هو كان يعمل تقدمته (تقدمة الخبز) في الإسكندرية حيث المقر البطريركي، وفي الأديرة مواضع الآباء القديسين، وينبغي أن نتناول منها بدون أدنى شك. ومنذ القرن الثامن الميلادي، زمن البابا ميخائيل الأول (٧٤٣ ـ ٧٦٧م)، كانت تحفظ القرابين بعد قداس أحد الشَّعانين للتَّناول منها في يوم الثلاثاء من البَصخة المقدَّسة إلى أن أوقف البابا خريستوذولُوس الـ ٦٦ (١٠٤٦ ـ ١٠٧٧م) هذه العادة في القرن

---

[٢١] انظر على سبيل المثال لا الحصر: مخطوطي ١٩ ، ١١٤ قبطي بالمكتبة الأهلية بباريس.

[22] L. Villecourt : *La lettre de Macaire, évêque de Memphis sur la liturgie antique du chrême et du baptême à Alexandrie, Le Muséon* 36 (1923).

والجدير بالذكر أن هذه الرسالة منقولة عن المخطوط رقم (١٠٠ عربي) بالمكتبة الأهليَّة بباريس، وكمِّلها مخطوط آخر برقم (٤٤ قبطيات) بالمكتبة الرسولية بالڤاتيكان.

[23] L. Villecourt, *op. cit.*, p. 41.

الحادي عشر. وما يشير إليه هذا الطقس عن احتفال إفخارستي لقُدسات سابقة التَّقديس[٢٤] ليس مفهومًا على الإطلاق؛ لأنه من الواضح ـ كما لاحظ ذلك الأب فيلكور ناشر رسالة أنبا مقاره ـ أنه يرجع إلى استخدام قبطي قديم، إذ لا يُحْتَفَظ إطلاقًا بالإفخارستيا خارجاً عن دائرة الاحتفال بإقامة القداس. وقد لاحظ أيضًا أن حِفظ ذخيرة الإفخارستيا من يوم أحد السعف للتناول منها خلال أسبوع البَصخة كانت هي (المرة) الوحيدة من نوعها التي عرفتها الكنيسة القبطية، وكذلك يبدو أنها لم تُسلَّم لباقي الأماكن.

ويقول القس ابن كبر صراحةً: "لا يستطيع أحد أن يحتفظ بالإفخارستيا". وعلى ذلك يظهر جليًّا أنه إذا كان البطريرك قد استشعر الحاجة إلى تقنين هذا الاستخدام بناء على تقليد رسولي، فإن الكثيرين قد عارضوا شرعيته وأنكروه.

وفى القرن الثاني عشر قام البابا غبريال الثاني بن تُريك، وبمساعدة رهبان دير القديس أنبا مقار ببرية شيهيت، بتقنين قطمارس لقراءات البَصخة المقدَّسة، وذلك لأن الطقس القديم، وهو قراءة الكتاب المقدس بعهديه الجديد والقديم طوال أيام البَصخة، أصبح لا يناسب الناس لكثرة مشغولياتهم وضيق وقتهم، أما في الأديرة فكل الوقت مكرس للصلاة. وعلى ذلك تم تقسيم ساعات اليوم إلى خمس سواعي نهارية وخمس سواعي مسائية[٢٥] تُقرأ فيها بعض النُّبوَّات للعهد القديم، وهذا بديل عن القراءة الكاملة للعهد القديم كما ذكره لنا القس ابن كبر كطقس خاص لدير القديس أنبا مقار[٢٦].

ويوضح لنا مخطوط قبطي عربي، رقم (٩ طقس)، بدير مارجرجس بحارة

---

[٢٤] وهي المعروفة في اليونانية باسم (Προηγιασμένη بروجيازميني).

[٢٥] وقد ذكرت السائحة إيجيريا هذا التقسيم في مذكرتها عن طقس كنيسة أورشليم فى القرن الرابع الميلادي انظر: مجلة مدرسة الأسكندرية، طقس أسبوع البصخة المقدسة (١)، مرجع سابق، ص ٢٠١.

[26] A. Wadi, *op. cit.*, pp. 278-280.

زويله أنه كان فى الكنائس والمدن يتم تجميع الساعات للصلاة كما يحدث الآن، أما فى الأديرة فكانت تقام كل صلاة في وقتها لأنه ليس عند الرهبان ما يشغلهم[٢٧]، وهو ما ذكره أيضًا ابن كبر عن رهبان دير سدمنت بالقرب من مدينة بني سويف[٢٨].

تحتفظ لنا مكتبات ومتاحف العالم بعدد لا بأس به من قطمارسات البَصخة المقدسة حسب طقس الكنيسة القبطية، ولكن المثير للانتباه أن هذه المخطوطات تتباين وتختلف فيما بينها في عدد فصول القراءات الخاصة بكل ساعة من ساعات البَصخة؛ وقد قام الدكتور بورمستر بدراسة عشرين مخطوط قطمارس منها، وأورد في بحثه تواريخ نساختها وأماكن تواجدها في أنحاء العالم. ونتيجة تعدُّد مخطوطات قطمارسات البَصخة المقدَّسة وتباين فصول القراءات الواردة فيها بين مخطوط وآخر، لا سيَّما القراءات المأخوذة من العهد القديم، كان من الطبيعي أن ينتقل هذا الاختلاف إلى قطمارسات أسبوع البَصخة المطبوعة منذ عهد البابا كيرلس الخامس البطريرك الـ ١١٢ (١٨٧٤ ـ ١٩٢٧م)، حتى صارت هناك أكثر من طبعة لهذا القطمارس لا تتفق كلها في عدد الفصول التي تقرأ، سواء أكانت من العهد القديم أم من العهد الجديد.

فبالنسبة للقراءات المأخوذة من العهد القديم يؤكد القس أبو البركات بن كبر على هذا التباين في قراءة النُّبوَّات، إذ يقول: " ... والنُّبوَّات بالبيع المصرية مرتبة في الساعة الأولى والتاسعة، من الأيام خاصة، دون الليالي وبقية السواعى. وأما البَصخة السدمنتية (دير سدمنت)، فالنُّبوَّات مرتبة فيها في كل سواعي الليل والنهار"[٢٩]. ويذكر لنا المخطوط (ب) أن الساعة الأُولى والساعة التاسعة من النهار تحتوي على مجموعة من النبوات مأخوذة من

---

[٢٧] راجع المخطوط ٩ طقس، بدير الشهيد مار جرجس بحارة زويلة، وهو مخطوط ترتيب جمعة البَصخة المقدَّسة، الورقة (٤٧)، أنظر صورة لهذا المخطوط فى نهاية المقال.

[28] A. Wadi, *op. cit.*, p. 264.

[29] Ibem.

الأسفار القانونية الثانية.

أما فيما يخص العهد الجديد فقد تم انتخاب قراءات منه لكل ساعة من ساعات البَصخة المقدَّسة، وهو ما يذكره لنا المخطوط (أ)، لكنه لا يذكر شيئًا عن النبوات، وإنما يورد فقط فصل إنجيل للصباح والمساء، وهو الأمر الذي يتطابق مع الطقس الأورشليمي. وعلى العكس من ذلك، فإن كلاً من المخطوط (ب)، والمخطوط (ج) يشتملان على فصل من الإنجيل لكل ساعة من ساعات الليل والنهار من يوم الإثنين وحتى يوم الجمعة العظيمة من البصخة[٣٠].

والعلامة المميِّزة جدًّا لتطور الخدمات خلال الأيام الثلاثة الأُولى من الأسبوع المقدَّس هي الإطالة في نظام القراءات. وهناك سمة أخرى جديرة بالملاحظة، وهي أن جميع خدمات هذه الأيام تُقام خارجًا عن المذبح بل في وسط الكنيسة، باستثناء قداس خميس العهد و سبت النور. ويقدِّم لنا ابن كبر سببًا لذلك حيث يقول "رب المجد، أخرج خارج المدينة، وقت آلامه والرسول بولس يقول: «فلنخرج نحن أيضًا خارج المحلة حاملين عاره»"[٣١].

والآن علينا النظر بشكل موجز للعناصر الليتورجية الأكثر قدمًا للبصخة المقدسة وهى قداس أحد الزيتونة (الشعانين) وقداس الخميس الكبير وقداس سبت الفرح والتغيرات التى طرأت عليها عبر العصور.

[١] أحد الزيتونة (الشعانين):

لقد أسهب القس ابن كبر واسترسل طويلاً في وصف الاحتفال بأحد الشعانين والاستخدامات المختلفة والمتباينة للغاية لموكب السعف (دورة الشعانين) في كنائس مصر المختلفة، وكيف أنه تعرَّض لتطوير كبير جدًّا. فهذا الاحتفال المهيب بالسعف يأتي منفصلاً (مستقلاً) عن البصخة؛ لأنه بخلاف ما أشارت إليه مذكرات السائحة إيجيريا، فإن البصخة فى الكنيسة

---

[٣٠] وهو – كما لاحظ العالم بومشتارك Anton Baumstark – نفس الطقس المتبع عند السريان اليعاقبة (الأرثوذكس، على حسب تعبيره).

[31] A. Wadi, *op. cit.*, p. 259.

القبطية تبدأ من ليلة الاثنين بعد انتهاء أحد الشعانين، ويمكننا أن نلاحظ ذلك من العناوين المختصة بأسبوع البصخة كما بيَّنها ابن كبر.

ويتميَّز الاحتفال بأحد الشعانين بطقسين، هما: ١) موكب السعف، ٢) صلاة الموتى (التجنيز).

والخدمة من العشية وحتى المساء تتوافق مع فصل إنجيل معيَّن، ألا وهو "وليمة عشاء بيت عنيا" (يو١٢: ١ ـ ١١)، التي صُنِعَت قبل الفصح بستة أيام، حيث دهنت (مسحت) مريم رجلي يسوع بالطيب. وبينما لم يتكلَّم ابن كبر عن هذه الخدمة، نجد أن **المخطوط** (أ) **والمخطوط** (ب) يذكرانها. كذلك نجد نفس هذا الإنجيل في قطمارس أورشليم ضمن طقس سبت لعازر. وهذا التوافق (الانسجام) بين الطقسين القبطي والأورشليمي مثير للانتباه؛ لأن الطقس البيزنطي في المقابل يُرحِّله إلى يوم الاثنين من البصخة.

وعلاوة على هذا، فإن موكب السعف[٣٢] (دورة الشعانين) في الطقس القبطي يحتوي على نقط مشتركة أخرى مع الطقس الأورشليمي الأكثر قدمًا، والذى انتقل بدوره من أورشليم إلى كنائس الشَّرق. صحيح أن ابن كبر يبدو مندهشًا من التنوُّع الكثير في استخدامات الكنائس المحليّة (المكانية) في مصر لهذا الموكب[٣٣]، لكن هذا التنوُّع الظاهري يخفي وراءه وحدة غاية في العمق، فالموكب يُجرَى في عدد معيَّن من المحطات (الوقفات) يتم خلالها قراءة فصول من الأناجيل، أو تُرَتَّل في أثنائها ألحان مناسبة. هذا الترتيب لاحظه العالِم بومشتارك Baumstark لأن نفس هذا الطقس القبطي هو

---

[٣٢] كان موكب السعف يجوب أرجاء المدن والقرى ليلاً، أي في ليلة عيد الشَّعانين. فكانت عادة الأقباط أن يزفُّوا الصليب في الشَّوارع بالقراءة والتَّرتيل في هذه الليلة، وهذا بعينه ما كان الطقس القبطي يمارسه حتى القرن الثَّاني عشر الميلادي حيث أبطلت هذه العادة في زمن البابا مرقس الثالث الـ ٧٣ (١١٦٦-١١٨٩م)، انظر:
A. Wadi, *op. cit.*, pp. 256-258.

[٣٣] انتشرت دورة الشَّعانين في الكنيسة طبقًا لممارستها المعروفة كما هي العادة لديها في عيد الصَّليب، بمعنى آخر أن دورة عيد الصَّليب هي الأصل الذي نقل عنه عيد الشَّعانين في دورته الاحتفاليَّة. ولكن ظلَّت كل كنيسة تمارسها طبقًا لعادتها المحلية. وكانت بعض الكنائس تعمل هذه الدَّورة بعد تسبحة نصف اللَّيل والسَّحَر وقبل رفع بخور باكر، وبعضها الآخر يعملها في داخل رفع بخور باكر وقبل قراءة فصل الإنجيل المقدَّس.

المستخدَم في أورشليم، والذي سبق وشَهَدَت على صحته إيجيريا[٣٤] وأكده قطمارس جورجيا[٣٥]. كذلك لحن "مبارك الآتي باسم الرب" هو أيضًا من ممارسات الطقس الأورشليمي، ومع ذلك لا يمكن الجزم أنه إحدى البصمات المباشرة للطقس القبطي (على الطقس الأورشليمي). ومع هذا نلمح وجود الخاصية القبطية خلال الأسبوع العظيم حيث تُقرأ الروايات الأربعة الإنجيلية لحادثة الدخول المسيَّاني ليسوع للمدينة المقدَّسة. هذه الخاصية توجد في **المخطوط** (ب) **والمخطوط** (ج) وأيضًا في دلال البصخة للطقس القبطي الحديث، كذلك يورد **المخطوط** (أ) إشارة للروايات الأربعة، لكنه على ما يبدو لا يضع قاعدة لقراءة كل واحدة منها. أما ابن كبر فلا يُحدِّد أية قراءة من القراءات الأربع هي التي تُقرأ إحياءً لذكرى الشعانين، ويبدو أن خدمة الصلاة التي يصفها لا تستخدم سوى قراءة واحدة فقط منها؛ أما الأناجيل الأُخرى التي يشير إليها فهي لا تختص بالعيد نفسه، وإنما تتعلَّق بالأماكن التي تُجرى فيها الوقفات (المحطات) المختلفة لموكب الشعانين.

أما صلاة الموتى (التجنيز) فهي طقس قبطي صميم، لا تعرفه أي كنيسة رسولية (تقليدية) أخرى سوى الكنيسة القبطية. وهى صلوات مستقلة بذاتها تُقام مُسبقًا لأجل الذين ينتقلون أثناء أسبوع البصخة المقدَّسة. وهذا الطقس، كما يشرحه بن كبر[٣٦]، عبارة عن صلاة تجنيز لأنه خلال هذه الأيام غير مسموح بالتعميد أو خدمة الصلاة على الموتى؛ لأن الكنيسة لا ترفع بخورًا في أيام الاثنين والثلاثاء والأربعاء .

وصلاة التجنيز لا علاقة لها بصلوات القُدَّاس الإلهي في يوم عيد الشَّعانين؛ لأنها تبدأ عقب الانتهاء من التَّناول من الأسرار المقدَّسة في قُداس هذا

---

[٣٤] لمعرفة وصف إيجيريا لهذا الموكب المهيب فى كنيسة أورشليم انظر: أقدم مخطوطة تحوي على طقس أسبوع البصخة، مرجع سابق، ص ٧٥-٧٧.

[35] A. Baumstark, *Das Leydener*., pp. 48-49.

[36] A. Wadi, *op. cit*., p. 258.

اليَوم[٣٧]، حيث إنّ أقدم مصدر معروف لدينا ـ حتى الآن ـ تكلَّم عن هذه الصَّلاة يعود إلى منتصف القرن الحادي عشر فى زمن البابا خريستوذولوس الـ ٦٦ (١٠٤٧ ـ ١٠٧٧م)، ففي قانونه رقم (١١) نقرأ ما يلي:

"وبعد فراغ القُدَّاس في يوم أحد الزَّيتونة، يقرأ الإنجيل وترحيم الموتى بعد رسالة بولس المعروفة برسالة الموتى (١كو ١٥: ١ ـ ٣٩، ٢٧ ـ ٥٨). ويقرأ بعد ذلك التَّحليل على جميع الشَّعب، لأنَّ الُجمعة الكبيرة لا يجوز فيها تحليل ولا ترحيم ولا تجنيز إلى أن ينقضي عيد الفصح"[٣٨].

أي أن البابا خرستوذولوس حينما أبطل عادة حفظ القربان من أحد الشعانين إلى الخميس الكبير، منع رفع البخور في تلك الأيام الثلاثة، ومن ثم قد يكون اعترض عليه معترض قائلاً: وماذا نفعل مع الموتى في هذه الأيام الثلاثة، فسن لهم هذا القانون السالف الذكر، وشرع عادة جديدة لم تعرفها البيعة قبله، وهى صلاة التجنيز، محددًا عناصرها، وهى فصل البولس والتحليل، ثم تطورت هى الأخرى فيما بعد وأُضيف عليها ما أُضيف حتى صارت وكأنها واحدة من ساعات البصخة (راجع الدلال الذي يصفها أنها صلاة الساعة التاسعة من يوم أحد الشعانين مضيفًا لها نبوة حزقيال).

وهنا نؤيد الرأى الذي يُرجِّح أن واضع هذا الطقس هو البابا خريستوذولوس نفسه، مستندًا إلى المبدأ القائل إن الذي يستطيع أن يمنع ممارسة ليتورجيَّة كانت تجرى منذ أيام البابا ميخائيل الأوَّل (٧٤٣ ـ ٧٦٧م)، وهى حفظ القرابين بعد قُدَّاس أحد الشعانين للتَّناول منها في أيام البَصخة المقدسة، يستطيع أيضًا

---

[٣٧] بحسب الطِّقس القديم يذكر ابن سباع فى القرن الثالث عشر ان الشَّعب ينصرف بعد انتهاء القُدَّاس الإلهي في أحد الشَّعانين، ويعودون إلي الكنيسة حوالي السَّاعة الثَّالثة بعد الظهر لحضور صلوات التَّجنيز العام وهى العادة قديمًا. وهذا ما يتم حتى الآن فى دير أبو مقار ولعل السبب فى وضع التجنيز عقب القداس مباشرة هو عدم حضور الشعب بعد الانصراف من قداس أحد الشعانين. وقد أدى هذا بطبيعة الحال إلي ممارسة صلاة التجنيز والبدء فى قراءتها قبل الانتهاء من القداس والتناول مما جعل بعض مخطوطات "دلال ترتيب جمعة الآلام المحيية" تذكر هذا بوضوح وتحذر منه حتى لا يكون فيه تهاون للذبيحة، وهذا ما نبه عليه قداسة البابا شنوده الثالث مرارًا وتكرارًا، راجع: مجلة الكرازة، العددين ١٣، ١٤، الصادرين بتاريخ الجمعة ١٣ برموده ١٧٢٢ش الموافق ٢١ أبريل ٢٠٠٦م، ص ١٣.

[38] Burmester, O.H.E., *The Canons of Christodulos, Patriarch of Alexandria,* Le Muséon t.XLV (1932), p. 80.

أن يضع طقسًا يتم تعميمه وممارسته، وهو طقس صلاة التَّجنيز العام.

وهكذا من خلال دراسة هذه النقطة يمكننا الخروج بنتيجة أخرى، وهي أن وضع صلاة التجنيز هو علامة أكيدة على أن الفصح لم يبدأ بعد بالنسبة للأقباط، حيث يتضح مما سبق أن البصخة كانت تبدأ من ليلة الإثنين وليس من يوم السَّبت السَّابق له (سبت العازر) كما ذكر أنبا ساويرس بن المقفع في القرن العاشر الميلادي، وكما ذكرته إيجيريا فى مذكراتها عن طقس كنيسة أورشليم، حيث إن وضع صلاة التجنيز العام عقب قُدَّاس أحد الشَّعانين، كتمهيد لأسبوع البصخة المقدَّسة، قد أخرج يوم أحد الشَّعانين من أيام هذا الأسبوع المقدَّس، وهذا ما تؤكده جميع مخطوطات "دلال ترتيب جمعة الآلام المحيية" حيث تذكر طقس أحد الشعانين، وبعد صلاة التجنيز تذكر الآتي: "ترتيب جمعة الآلام الذى لسيدنا يسوع المسيح له المجد ....".

[٢] يوم الخميس من البصخة المقدَّسة (خميس العهد):

في هذا اليوم يقام قداس خميس العهد تذكارًا لعشاء الرب والفصح الجديد الذى أسسه لنا السيد المسيح بدمه الذي أهرقه على عود الصليب. ويتميز هذا اليوم بطقس اللقان الذى يبدأ بعد الساعة التاسعة من صلوات البصخة. هنا يصمت تمامًا طقس أورشليم المبكِّر فى القرن الرابع الميلادي الذي وصفته إيجيريا عن هذه الاحتفالية. وهذا الطقس كان موجودًا في أماكن دون الأخرى في ذلك الوقت، حيث يذكر القديس أغسطينوس أن البعض لم يقبل هذا الطقس لئلا يصبح جزءًا من سر المعمودية، والبعض لم يعترف به كطقس، والبعض الآخر يتممه، كما يذكر: "إن طقس غسل الأرجل هو بمثابة عادات Customs تختلف من مكان لآخر، حيث إنه لا يوجد إلزام بها"[٣٩]. كذلك يشهد القديس أمبروسيوس أسقف ميلان على هذا بقوله: "من المعروف أن كنيسة روما ليس فيها طقس غسل الأرجل"، وإنه:

[39] *Fathers of the Church*, St. Augustine: *Letters Volume I (1-82)*, Translated by Wilfrid Parsons, the Catholic University of America, Washington 1951, V. 12, p. 289.

"يتم كاملاً في أماكن أخرى، وإني أحافظ عليه شخصيًّا"[٤٠]. ولكن طقس اللقان أُضيف إلى الطقس الأورشليمي في القرن الخامس، حيث يذكره القطمارس الأرمني الأورشليمي بعد سنكسار الإفخارستيا. ولا نعلم فى أى عصر بالتحديد أُدخل هذا الطقس إلى كنيستنا القبطية ومن الذى أدخله، ولكنه ـ متأثرًا بالطقس الأورشليمي ـ ظل يُمارس في الكنسية القبطية حتى القرن الثالث عشر خلال القداس[٤١] وليس قبل القداس كما هو الحال الآن. والذي قام بنقل طقس اللقان إلى ما قبل القداس هو البابا يوأنس السابع الـ ٧٨ (١٢٦٦ ـ ١٢٩٥م) الشهير بابن أبي سعيد السُكّري[٤٢]،وبداية من القرن الرابع عشر تذكر المخطوطات القبطية أيضًا طقس اللقان قبل قداس خميس العهد، وهو أيضًا ما يذكره صراحة كتاب "مصباح الظلمة"، بالإضافة إلى إنه يذكر أيضًا سبب هذا التعديل الطقسي[٤٣].

وقد أشار العالم كرام Crum في وصفه المخطوط (ب)[٤٤] إلى أنه بعد الساعة التاسعة من يوم الثلاثاء من البصخة يتم الاحتفال بصلاة ليتورجية اللقان، وهذا غير صحيح. وإذا رجعنا إلى هذا المخطوط يمكننا أن نتحقق بالفعل من إنه يذكر أن صلاة اللقان تقام بعد الساعة التاسعة من يوم الخميس

---

40 *Fathers of the Church*, St. Ambrose: *The Theological and Dogmatical Writings*, Translated by Roy J. Deferrari, Ph.D., the Catholic University of America, Washington 1963, V.44, p. 291.

٤١ وهو ما يؤكده أيضًا بن كبر ويذكره في طقس خاص لدير القديس مقاريوس ببرية شيهيت، انظر:
A. Wadi, op. cit., p. 279

٤٢ انظر: مخطوط ترتيب البصخة بدير البرموس، تاريخه ٢٢ أمشير ١٠٤٥ للشهداء (الخميس ٢٤ فبراير ١٣٢٩م)، نقلاً عن: القمص أرمانيوس حبشي شنا البرماوي، "أسبوع الالام وكتاب البصخة"، مجلة رسالة المحبة، السنة الخامسة، العدد الرابع أبريل ١٩٣٩م – برمودة ١٦٥٥ ش، ص ٢٤٦-٢٤٧.
ويحتوي هذا المخطوط فى مقدمته على ترتيب طقس البصخة حيث يذكر الآتي: "مقدمة البصخة المقدسة ابتدا بانشاها الشيخ المؤتمن ابن العسال وكملت على ما استقر عليه الحال باكثر بيع القبط بالديار المصرية". أنظر صورة لهذا المخطوط فى نهاية المقال.

43 A. Wadi, *op. cit.*, p. 268.

44 W.E. Crum, *Catalogue of the Coptic Manuscripts in the British Museum,* London, 1905, p. 513.

وليس من يوم الثلاثاء[٤٥]، حيث إنه خطأ وقع فيه العالم كرام Crum وتبعه في ذلك الأب عمانوئيل لان Dom Emmanuel Lanne وتناقل غيرهما هذا الخطأ. وبناءً على إشارة كرام السابقة افترض الأب عمانوئيل لان أن يكون قد تمّ في هذا العصر أيضًا ترحيل صلاة اللقان من يوم الثلاثاء إلى يوم الخميس من البصخة المقدَّسة، وبالتالي اختفى الاحتفال بالإفخارستيا من يوم الثلاثاء. وقد اعتمد الأب عمانوئيل أيضًا في طرح هذا الافتراض على رسالة أنبا مقاره أُسقُف منوف العليا في القرن العاشر الميلادي التى تذكر أن احتفال يوم خميس العهد قد طرأت عليه تغييرات كبيرة جدًّا في القرن العاشر نتيجة لتأثيرات مباشرة من الطقس السرياني عليه. لأنه في هذا العصر تمَّ ترحيل الاحتفال بتكريس الميرون من يوم الجمعة السابقة لأحد الشعانين (أي جمعة ختام الصوم) إلى يوم خميس العهد. وقد شهد على هذا أنبا مقاره نفسه فى زمن البابا قزمان الثالث البطرك الـ ٥٨ (٩٢٠ ـ ٩٣٢م) وتبعه في ذلك من بعده البابا مكاريوس الأول البطرك الـ ٥٩ (٩٣٢ ـ ٩٥٢م)، ثم جاء البابا مينا الثاني البطرك الـ٦١ (٨٥٦ ـ ٩٧٤م) وصار يعمل اللقان سنة فى يوم جمعة ختام الصوم وسنة في يوم خميس البصخة. وهذا الاستخدام الأخير والجديد قد فَرَضَ نفسه على الطقس القبطي بطريقة نهائية قاطعة في الربع الثالث من القرن العاشر في عهد البطريرك ابرآم بن زرعة السرياني الـ ٦٢ (٩٧٥ ـ ٩٧٨م).

ولكنْ هناك فرض آخر أنه تم نقل طقس اللقان من يوم الثلاثاء إلي يوم الخميس في زمن البابا خريستوذولُوس الـ ٦٦ (١٠٤٦ ـ ١٠٧٧م) بعد إيقافه لعادة الاحتفاظ بالقربان المقدس.

إلا أن هذه الفرضيات والآراء يجانبها الصواب؛ لأنه في الحقيقة لم يكن يتم الاحتفال بطقس اللقان يوم الثلاثاء من قبل، فكل المصادر الطقسية حتى القرن العاشر على أقل تقدير لا تشير أبدًا إلى ذلك، وهذا ما تؤكده بشكل واضح وصريح رسالة أنبا مقاره أُسقُف منوف العُليا في القرن العاشر الميلادي،

[٤٥] وقد وجه نظرنا إلى هذه المعلومة الهامة أحد رهبان دير القديس أبو مقار فله منا كل الشكر.

التى تذكر أن طقس غسل الأرجل كان يمارس يوم الخميس[٤٦].

وفي أثناء هذا الاحتفال بطقس غسل الأقدام تُقرأ فقرة من رسالة معلمنا بولس الرسول الأُولى إلى تيموثاوس، وهي تتكلَّم عن واجبات الأرامل حيث ينبغي أن يقمن بإضافة الغرباء وغسل أرجل القديسين (١تي ٥: ١٠)، وأيضًا يُقرأ فصل من إنجيل القديس يوحنا (١٣: ١ ـ ١٧). وبينما يُقدِّم ابن كبر ومخطوط (ب) هذه القراءات من ستة أسفار من العهد القديم، نجد أن طقس أورشليم لا يعرف في المقابل سوى فصل الإنجيل فقط.

وصلاة اللقان التي تسبق القداس في الطقس القبطي تحوي في حد ذاتها بنْية حقيقية لليتورجية الإفخارستيا التي نجدها على سبيل المثال في طقس تكريس الزيوت المقدَّسة، ويخبرنا ابن كبر أنها تبدأ بصلاة الشكر وتقدمة البخور، تليها القراءات والمزمور، ثم (لحن قدوس) أجيوس فالإنجيل، بعد ذلك تأتي صلاة تبريك الماء بالصليب، ثم الصلوات التوسُّلية (الأواشي)، وأخيرًا صلاة المقدِّمة التي تماثل صلاة مقدِّمة أنافورا الإفخارستيا (محبة اللّه الآب ... مستحق وعادل)، والصلاة على حوض اللقان، ثم يبدأ طقس غسل الأقدام، حيث يغسل الكاهن أرجل الشعب وأيديَهم وجباهَهم، كما يقول ابن كبر[٤٧]. يرتِّل الشعب لحناً يلائم التناول في بْنية القداس، ثم يُختَتم الطقس بصلاة شكر على اللقان، وعندئذ يبدأ القداس.

هذا القداس ـ الذي ألمحنا إليه سابقًا ـ يتميَّز بسمتين يسترعيان الانتباه، أولهما أنه لا يُسمح أولاً بتقبيل الإنجيل ولا يُرتل الأسبازموس (القبلة). ويشرح ابن كبر أن السبب في ذلك يرجع إلى تذكار قُبلة يهوذا، غير أن هذا التفسير غير مناسب على الإطلاق، لأن ليتورجية الإفخارستيا ليوم السبت الكبير (سبت الفرح) تتجاهل قبلة السلامة، لذا فنحن نرى بالأحرى في ذلك إشارة إلى تقليد قديم مهجور. وهذا ما تؤكِّده السمة الأخرى التي تميِّز هذا القداس،

---

[٤٦] راجع مخطوط رقم (١٠٠ عربي)، بالمكتبة الأهليَّة بباريس.

[47] A. Wadi, *op. cit.*, p. 267.

فهو لا يحتوي إلا على قراءة واحدة من كتابات الرسل وهي (١كو ١١: ٢٣ ـ ٢٦)، التي يحكي فيها القديس بولس رواية تأسيس الإفخارستيا، بينما القداس القبطي العادي يشتمل في العادة على ثلاث قراءات من العهد الجديد تُقرأ قبل الإنجيل، وهي: فصل البولس، وفصل من الرسائل الجامعة، ثم فصل من أعمال الرسل. ويذكر ابن كبر هذه الخاصية، مُبيِّنًا أن البعض قد أضافوا قديمًا القراءتين الأخريين[٤٨]، لأنه عُثر على مخطوط يحوي، بالإضافة إلى البولس، فقرة من رسالة بطرس الرسول الأولى ومن الأعمال. أما **المخطوط (أ)** فقدَّم من جانبه قراءة من رسالة يهوذا وأخرى من الأعمال. وهذه القراءة الأخيرة تتطابق تمامًا مع تلك التي ذكرها ابن كبر. أما الاختلاف بين هذين الشاهدين إنما هو في اختيار فصل الرسائل الجامعة (أي بطرس الأُولى ويهوذا). أما القراءة الثانية فيبدو أنها تؤكِّد حداثة عهد هذين الفصلين الإضافيين. كذلك نلاحظ أن قطمارس أورشليم يحوي هو الآخر نفس قراءة الأعمال التي تلي تسريح الموعوظين لكنها تأتي قبل فصل (١كو ١١).

ونستنتج من ذلك أن الليتورجيا المبكِّرة الأُولى للأقباط للاحتفال بإفخارستيا خميس العهد لم تكن تحوي سوى قراءة بولس وفقرة من إنجيل القديس متى عن تأسيس الإفخارستيا، وأنه تحت تأثير كنيسة أورشليم، وفي بعض الكنائس وفي عصر معين أُلحِقَ بها قراءة الأعمال التي أُضيف إليها أخيرًا فصل من الرسائل الجامعة التي كان الاختيار منها موضع حيرة وتردُّد. ومع هذا فإن الطقس القبطي الحقيقي القديم للقراءة الوحيدة قبل إنجيل قداس هذا اليوم مازال باقياً في القطمارس الحديث (العصري) الذي حَفَظَ ـ مع غياب القبلة الأسبازموس ـ هذين التقليدين العتيقين لطقس إفخارستية خميس العهد.

[٣] سبت الفرح، وسهرة الفصح

بعد يوم الجمعة العظيمة تبدأ قراءة سفر المزامير بأكمله حيث تشغل الليلة

---

[48] A. Wadi, *op. cit.*, pp. 268-269.

بطولها. ومجموعة هذه القراءات، أي هذه القراءة من المزامير، وتلك التي تُقرأ في ليلة أبوغالمسيس يوم سبت الفرح، وإنجيل يوحنا الذي يُقرأ ليلة الفصح، تبدو أنها الآثار المتبقية من استخدام (ديري) رهباني لقراءة الكتاب المقدَّس بأكمله على مدى أسبوع البصخة، والتي كانت تُمارَس على سبيل المثال في دير أنبا مقار.

ويقرأ الأسقف أو كبير الكهنة الثلاثة مزامير الأخيرة من كتاب سفر المزامير، أما البطريرك فإن كان حاضرًا، فهو الذي يقرأ المزمور ١٥١. بعد ذلك يُلف سفر المزامير في لفافة من الحرير ويحمله شماس فوق رأسه ويطوف الشعب معه الكنيسة حاملين في أياديهم الشموع وهم يرتِّلون لحن كيرياليسون. بعد هذا الطواف تأتي مباشرة تسابيح سَحَر سبت الفرح[٤٩].

وهنا تبرز مشكلة جديدة، فتسابيح سَحَر سبت الفرح هي صلاة السحر اليومية بحسب الطقس البيزنطي[٥٠]. ويقول ابن كبر بوضوح[٥١] إنه بالنسبة لسحر يوم سبت النور تُقال التسابيح واحدة بعد الأخرى[٥٢]. وفي كنائس جنوب مصر (الصعيد) فرئيس الشمامسة هو المنوط به أن ينشدهم جميعًا، أما في كنائس الوجه البحري فهو الذي يقوم بتفسيرها عربيًّا، أو مَنْ يهبه هذا

---

[٤٩] تسبحة موسى النبي (الهوس الأول ومرده فلنسبح الرب لأنه بالمجد قد تمجد)، الواردة بسفر الخروج ١٥: ١ ــ ٢١، وتسبحة الثلاثة فتية (الهوس الثالث ومرده سبحوه وزيدوه علوًا إلى الآباد)، ورؤية دانيال النبي لأجل التمثال الذهب الواردة بسفر دانيال ٣: ١ ــ ٢٤، هى التسابيح الأكثر قدمًا والتى تحمل السمات الأصلية للبصخة القبطية وقد ذكرها بن كبر في ترتيب بصخة دير القديس مقاريوس ببرية شيهيت، انظر:

A. Wadi, *op. cit.*, p. 280

وكانت هناك بعض الكنائس تقرأ قصة سوسنة الواردة بتتمة سفر دانيال ١٣ وهذا على النقيض من عادة كنيسة المعلقة حيث كانت لا تقرأها قبطيًّا ولا عربيًّا حيث لم يذكرها بن كبر فى ترتيب بصخة دير أبو مقار ومازال حتى الآن لا يقرأ رهبان الدير قصة سوسنة. ويذكر مخطوط بصخة عربي بدير السيدة العذراء برموس، انظر حاشية ٤٤، الآتي: "ليلة السبت تقري مزامير داود بكمالها وعند فروغها يبتدا بسبت الفرح يجلسوا الناس امام الهيكل وتُقري تسبحة موسى التى هي حينيذ سَبح موسي قبطيًا وعربيًا ثم قصة الثلثه فتيه بكمالها وان اختاروا قصة سوسنة والا ليست بضرورية".

[٥٠] راجع: كتاب السواعي الكبير، طبعة ابرشية بغداد والكويت وتوابعها، ب ت، ص ٦٠- ٨٠.

[51] A. Wadi, *op. cit.*, pp. 272-273.

[52] A. Wadi, *op. cit.*, p. 272

الشرف. وعندما يصل القارئ في تسبحة الخروج لموسى النبي إلى الكلمات: "فلنسبِّح الرب"، عندئذ يرد الخورس وهم يرتِّلون بهذا القرار (المرد): "لأنه بالمجد قد تمجَّد". ومن الواضح أن هذا الاستخدام له علاقة مع استخدام الطقس البيزنطي الذي له مَرَد مشابه لتسبحة الخروج يُقال بعد قراءة فصل عبور البحر الأحمر فيما كان يُعرَف قَبلاً بسهر فصح اليونانيين. كذلك أيضًا بالنسبة لتسبحة الثلاثة فتية يُخبرنا ابن كبر أن المرتِّلين يقولون باليونانية بعد كل رُباعية: ... ευλογετιε παντατα والمقصود هنا أيضًا نفس التسبحة مع نفس القرار الذي يلي قراءة قصة الثلاثة فتية في الطقس القديم لسهرة الفصح اليوناني.

والمشكلة الحادثة نتيجة لهذا التشابه تدفعنا لأن نسوق ملاحظة تختص بالسهر الفصحي القبطي، ففي جميع الشهادات التي وصلت إلينا لا نجد للسهر الفصحي أيَّة علاقة مباشرة مع طقس المعمودية الذى كن يمارس في كنيسة أورشليم فى القرن الرابع الميلادي. فمع أنه توجد سلسلة قراءات من الأسفار القانونية الثانية، لكن ليست لها علاقة بتلك القراءات الخاصة بأورشليم، ولا بالطقس البيزنطي في غروب سبت الفرح[٥٣]، ولا بأي طقس مسيحي قديم للسهر الفصحي على وجه الإطلاق، وربما يمكن تفسير ذلك بالتفوق الفائق الذي مارسته الخدمات الديرية الرهبانية في الكنيسة القبطية، والتي فرضت من خلاله تركيبة ليتورجية استُبْعِدت منها وحُذِفَت سمة المعمودية تمامًا.

ويحتفل في يوم السبت هذا بكامله بقيامة الرب، لذا فهو يحمل الاسم الرائع "سبت الفرح"، فبعد الساعة السادسة يبدأ طقس القراءة الجهارية لسفر الرؤيا، وتتخلل هذه القراءة تسابيح تشرح النص المقدَّس وتفسِّره. وحالما

---

٥٣ يبقَى أن نشيرَ إلى أنَّ أناشيدَ السحرَ لسهرةُ الفصحِ فى الكنيسة البيزنطية، أرتبطت بطقس المعمودية ولم تكن تركّزُ على حدثِ القيامةِ بقدرِ تركيزِها على مواضيعِ النور، الإغتسال، الخلق الجديد، الفصح والعبور، تاركةً بذلك المجـال لسحرَ الأحد ليذخرَ بالأناشيدِ التي تعلنُ القيامةَ وتتأمّلُ فيها. وبالعودةِ إلى الممارسةِ الحاليّة في الكنيسة البيزنطية، فقـد تقلّصتْ سهرةُ الفصحِ وغابتْ عنها المعموديّة ، فأصبحتْ تقامُ ظهرَ السّبتِ كغروبِ للقيامة.

يصلون لرؤية الأربعة والعشرين قسيسًا يرفعون البخور، وعندما تنتهي قراءة سفر الرؤيا، تُقرأ الساعة التاسعة ويبدأ القداس الذي تُعلن قراءاته الأربعة عن خبر قيامة الرب. وعلى هذا النحو تكون لدينا ـ كما في الطقس البيزنطي القديم ـ ليتورجية إفخارستيا لمساء يوم سبت الفرح، وواحدة أخرى تلي سهرة الفصح.

ومذكرات السائحة إيجيريا في بداية القرن الخامس تشهد أنه كان يوجد في أورشليم احتفالان بالقداس. والواقع أنه بعد الساعة التاسعة كانوا يحتفلون بالسهر الفصحي (في موضع أو كنيسة الآلام) Martyrium، الذي كانت تجرى خلاله المعمودية وتُرفع تقدمة القرابين، ثم يتوجَّهون بعد ذلك إلى (كنيسة القيامة) الأنسطاسيس Anastasis. وبعد قراءة فصل إنجيل القيامة جهراً كانت توجد من جديد صلاة، ثم تقدمة للقرابين، ثم تسريح، على أن يتم هذا كله سريعًا، كما لاحَظَت إيجيريا هذا بنفسها[٥٤].

سبق وذكرنا للتو عدم وجود أيَّة إشارة مباشرة في الفصح القبطي إلى طقوس معمودية. ونعرف من رسالة أنبا مقاره أُسقُف منوف العُلْيَا في القرن العاشر الميلادي أنه قبل القرن العاشر الميلادي كان يتم تكريس الميرون ليس في يوم خميس العهد، وإنما في يوم الجمعة التي تسبق أحد السعف (جمعة ختام الصوم). وفي هذا اليوم أيضًا كان يتم عماد الموعوظين. ولذا، فغياب المعمودية في الطقس الفصحي هو أمر سحيق القدم، لأنه، كما ذكرنا آنفًا، قد تغيَّر تحت التأثير السرياني موعد تكريس الميرون إلى يوم خميس العهد، دون أن يكون له ارتباط من جديد مع منح المعمودية في الفصح[٥٥].

خاتمة

بعد هذا العرض الموجز حول التطور الذي طرأ على ليتورجية طقس البصخة المقدسة في الكنيسة القبطية الأولي فإن التشابه الذي لاحظناه بين الطقس

---

٥٤ أقدم مخطوطة تحوي على طقس أسبوع البصخة، مرجع سابق، ص ٩٧-٩٨.

55 Je maintiens donc les conclusions de Dom Villecourt, contre A. Baumstark : *Liturgie Comparée*, Chevetogne 1935, (3e édition), p. 188, note 2.

القبطي وطقس كنيسة أورشليم من القرن الخامس وحتى القرن العاشر كبير جدًّا وبالغ الأهمية ومن المستبعد أن يكون قد حدث من قبيل المصادفات.

كذلك من المحتمل أنه كان هناك تأثيرٌ لطقوس الكنيسة السريانية على نمو وتطوُّر الطقس القبطي للفصح. وهذا أمر متوقَّع؛ لأن الرهبان السريان أقاموا في دير العذراء المعروف حاليًّا بدير السريان في وادي النطرون، والتبادل المشترك بين الكنيستين غير الخلقيدونيتين كان ثابتًا ودائمًا[٥٦].

هناك أيضًا شيء من التطابق بين الطقس القبطي والطقس البيزنطي يحملنا أيضًا على الاعتقاد بوجود تأثير متأخِّر جدًّا للروم[٥٧].

ومن الملاحظ أن التنوُّع والاختلاف الكبير جدًّا في الطقوس المحلية (المكانية) للكنائس المصرية المختلفة قد استمر ودام خلال عِدَّة قرون، غير أنه من المحتمل أن تأثر كنائس الصعيد بالطقوس الشرقية كان أقل، ونتيجة لذلك يمكننا أن نجد في الوثائق الصعيدية التي لم يسبق نشرها العناصر الأكثر قِدَمًا.

وبرغم ذلك تظل العناصر القبطية الخالصة لطقس الفصح كثيرة جدًّا، فالسمة الأساسية للبصخة المقدسة فى الكنيسة القبطية هي المكانة العظيمة التي تحتلها القراءات الكتابية، والتي لم تتوقَّف عن الازدياد والنمو على مدى قرون، حيث لا يوجد طقس لكنيسة أخرى يعطي للقراءات الكتابية هذه المكانة الكبيرة في أسبوع الآلام. هذا بخلاف القراءة المستمرة لكل الكتاب المقدَّس خلال هذه الأيام الستة، والتي ملأت الفترات فيما بين الخدمات، والتي تحتوي هي الأخرى على طقوس مكثفة للغاية. ولعلنا نجد في ذلك دون أدنى شك إشارة رهبانية ديرية أساسية يلزمنا أن نؤكِّد على أهميتها؛ لأن كثرة عدد ساعات الخدمة خلال هذه الأيام المقدَّسة، وزيادة حجم القراءات

---

[٥٦] ماجد صبحي، "العلاقات القبطية السريانية عبر العصور"، موسوعة *من تراث القبط*، ج ٥، ص ١٤٤-١٦٥.

[٥٧] ونجد هذا التأثير واضح فى تسابيح سبت الفرح التى نمت وتطورت في زمن متأخر جدًا، حيث لم يذكر بن كبر أو أى من مصادرنا الطقسية حتى القرن الخامس عشر على أقل تقدير كل هذه التسابيح التي تقال الآن.

الكتابية، وهذا التواجد المكثَّف للكتب المقدَّسة والذي يرجع إلى تأثير الرهبان، كان هو السبب وراء اختفاء المعمودية من خدمة الفصح. ويتضح في الطقس القبطي، أكثر من أي طقس آخر، أن كل عناصره تتمركز حول شهادة العهد القديم والجديد فيما يختص بموت الرب وقيامته.

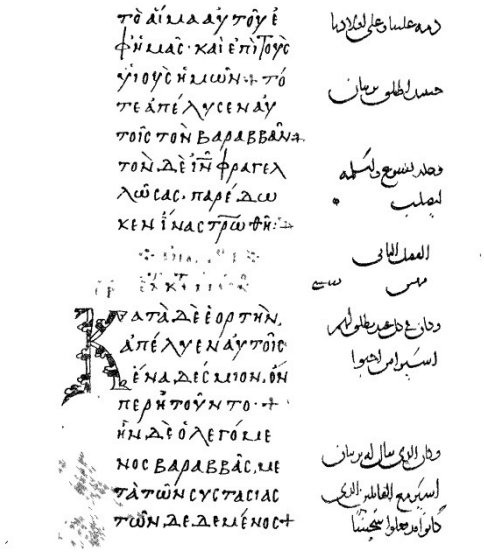

1 Leiden University Library, MS Or 243, p 332
(By courtesy of Leiden University Library)

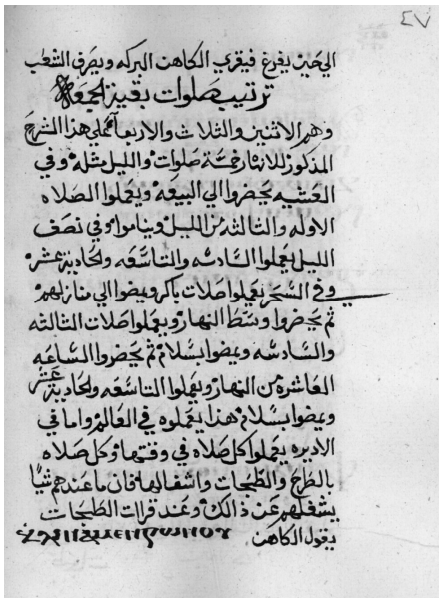

صورة الورقة(٤٧) من مخطوط ٩ طقس، بدير مارجرجس بحارة زويلة

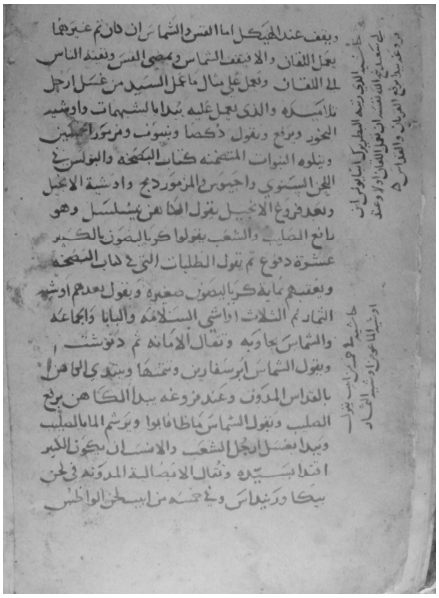

انظر الحاشية، مخطوط بصخة عربي، بدير السيدة العذراء برموس